أساليب التدريس، مدرسة الإمامين الصادقين إنموذجاً

فائزة رحيم هاشم هاشم
طالبة الدكتوراه، قسم التاريخ الإسلامي، جامعة الأديان والمذاهب، قم، إيران
Fayza2025@gmail.com
الدكتور محسن خندان الويري
أستاذ، قسم التاريخ، جامعة باقر العلوم عليه السلام، قم، إيران
alviri@bou.ac.ir
الدكتور سيد ناصر موسوي
أستاذ مساعد، كلية التاريخ، جامعة الأديان والمذاهب، قم، إيران

Teaching methods, the school of the Alsaadiqayn Imams as a model

Fayza Rahim Hashem Hashem
PhD Student , Department of Islamic History , University of Religions and Sects, Qom , Iran
Dr. Mohsen Khandan Al-Wairi
Professor , Department of History , Baqir al-Uloom University , Qom , Iran
Dr. Seyed Nasser Mousavi
Assistant Professor , Faculty of History , University of Religions and Sects , Qom , Iran

الملخص:-

هذا البحث يرتكز على فهم الواقع التاريخي العلمي المرتبط بالنظام التعليمي الشيعي وانعكاس خطاب الأمامة على هذا النظام الذي يركز على مدة إمامة الصادقين عليهما السلام، وهذا النظام التعليمي له عدة أبعاد يدور البحث هنا عن بعده على المستوى التعليمي من نشر الفقه والعلم تجاه المخالفين في المذهب وما يترتب على ذلك من تفاصيل، كما يدور بعده الآخر حول الأفكار والمعتقدات الغالية وحماية الشائعة من تلك الغلاة وبعده الاخر يدور حوله طرائق التدريس وامكنة التعليم وبعده الاخر المعلمين والتلاميذ ودور هم أهل الفتيا والفقه أصحاب الإجماع. كان اختصاص أصحاب الصادقين طلبة علم ومعرفة يأخذون من الإمامين الروايات والأحاديث ويثونه بين طلابهم والمجتمع لإرساء حياة اجتماعية وثقافية وفكرية خالية من الفساد وبعيدة عن الحرام وهدفهم نشر الروايات عن أهل البيت يعد العلماء الشيعة ممن تتلمذوا على يد الصادقين عليهما السلام والذين تخرجوا على يدهم من خيرة اصحاب الأئمة والذي كان لهم الدور الكبير في نشر العلم والأحاديث وكان منهم من أصحاب الإجماع وأهل الفتيا والفقه والحديث والمتكلمين والذين وردت منهم الكثير من الروايات عن أهل البيت عليهم السلام والذين اختصوا بالإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام ورووا عنهما الشيء الكثير عن علومهما. وقد اهتم أصحاب الصادقين عليهما السلام بعد وفاة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بذلك.

لقد تولّى أئمة الشيعة مسؤولية تعليم أتباعهم أحكام الدين ونشر المعارف الإسلامية، مستغلين كل الوسائل المتاحة في مختلف الأزمنة والأمكنة، بهدف حفظ الدين وهداية المجتمع الإسلامي، وقد لعبت المساجد، الكتاتيب، والأماكن المقدسة دورًا بارزًا في نشر التعليم، مما أكسبها مكانة متميزة في المسار التعليمي مع مرور الوقت، ظهرت مراكز تعليمية أخرى في التاريخ الشيعي، ومنها مراكز معروفة في مدن مثل لكهنؤ في الهند، إلا أن هذه المراكز لم تخضع لدراسات كافية توضح نقاط قوتها وضعفها أو مدى تأثيرها في الحاضر.

الكلمات المفتاحية: خطاب الامامة، النظام التعليمي، عصر الصادقين، المصادر الشيعية.

Abstract:-

This research is based on understanding the historical scientific reality associated with the Shiite educational system and the reflection of the Imamate discourse on this system, which focuses on the duration of the Imamate of the two truthful ones, peace be upon them. This educational system has several dimensions. The research here revolves around its dimension on the educational level of spreading jurisprudence and knowledge towards those who disagree with the doctrine and the details that result from that. Its other dimension revolves around the ideas and beliefs of the extremists and the protection of the rumor from those extremists. Its other dimension revolves around the teaching methods and places of education. Its other dimension revolves around the teachers and students and their role as the people of fatwa and jurisprudence, the people of consensus. The specialty of the companions of the truthful ones was the students of knowledge and learning who would take the narrations and hadiths from the two Imams and spread them among their students and the community to establish a social, cultural and intellectual life free from corruption and far from what is forbidden. Their goal was to spread the narrations about the people of the house. The Shiite scholars who studied under the two truthful ones, peace be upon them, and who graduated from them are among the best companions of the Imams who played a major role in spreading knowledge and hadiths. Among them were those who had consensus, people of fatwa, jurisprudence, hadith and theologians, from whom many narrations were transmitted about the people of the house (peace be upon them), and who specialized in Imam al-Baqir and Imam al-Sadiq (peace be upon them) and narrated many things about their sciences. The companions of the two truthful ones, peace be upon them, were interested in that after the death of the Noble Prophet (may God bless him and his family).

The Shiite Imams have assumed the responsibility of teaching their followers the rulings of religion and spreading Islamic knowledge, exploiting all available means in different times and places, with the aim of preserving religion and guiding the Islamic community. Mosques, schools, and holy places have played a prominent role in spreading education, which has earned them a distinguished position in the educational path. Over time, other educational centers have emerged in Shiite history, including well-known centers in cities such as Lucknow in India. However, these centers have not been subjected to sufficient studies that clarify their strengths and weaknesses or the extent of their influence in the present.

Key words: Imamate discourse, educational system, the era of the truthful ones, Shiite sources.

المقدمة:ـ

أنه طريقة الكتابة أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها وتعبير المعاني بقصد الإيضاح والتأثير وعرف أيضا: إجراءات خاصة يقوم بها المعلم ضمن الإجراءات العامة التي تجري في موقف تعليمي معين. وبذلك يمكننا القول بان الاسلوب هو نمط تدريسي يتبعه المدرس في تدريسه لطلبته على وفق ما يراه مناسباً لهم وبالإمكانية التي يتمتع بها المدرس من قدرة وثقافة وضبط المادة الدراسية والصف.إن أسلوب التعليم قد يختلف من معلم لآخر على الرغم من استعماله للطريقة نفسها، فقد نجد أن فروقاً قد تظهر في مستويات تحصيل التلاميذ لكل معلم، ولا تنسب هذه الفروق إلى طريقة التدريس بل إلى الأسلوب المتبع من قبل المعلم على اعتبار إن طريقة التدريس لها خصائصها وخطواتها المحددة والمتفق عليها، أما أساليب التعليم فلا توجد قواعد محددة ينبغي على المعلم اتباعها اثناء قيامه بعملية التعليم، بل إن طبيعة أسلوب التعليم تبقى مرهونة بالمعلم وشخصيته والانفعالات ونغمة الصوت ونطقه للحروف، والإشارات والإيعازات، والتعبير عن القيم وغيرها، والتي تمثل جوهرها، وبهذا فإن الاساليب التعليمية التي استخدمها الامام محمد بن علي الباقر بانها عبارةعن مجموعة من خطوات واجراءات وانشطة الغرض منها التدريس أو النصح أو توضيحا للتعليم وأساليبه عند الامام محمد بن علي الباقر بعض العلوم من اجل نشر العلم والتعليم الدين الإسلامي بين ابناء المجتمع الإسلامي.

أساليب التدريس والتي تعدُّ اهم عنصر من عناصر التعليم وله دورا كبيرا في العملية التعليمية.

الاسلوب في اللغة

هو الطريق الواضح، وكل طريق ممتد فهو أسلوب[١]. والأسلوب لغة يعني الطريق أو الفن من القول والجمع أساليب والأسلوب أيضا، والاسلوب الحكيم عند أهل المعاني هو تلقي المخاطب بغير ما يترقب يحمل كلامه على خلاف مقتضى الظاهر[٢].

الأسلوب في الاصطلاح

كما ان أسلوب التدريس تشير في اللغة إلى كيفية القيام بالعمل والطريقة التي تتبع، وفي

الإصطلاح تطلق على التقنيات التي توجه الإنسان إلى حل المسائل ؛ وترتبط أسلوب التدريس وطريقة تطبيق القواعد والممارسات والتقنيات التي يستخدمها المعلمون بتحقيق أهدافهم التعليمية في تسهيل عملية التعليم[٣] الإختيار المناسب لأساليب التدريس سيسرع ويسهل التعلم، يمكن تصنيف أساليب التدريس بناء على متغيرات مختلفة، ويكون نوعان منها أكثر قابلية للتطبيق:

١. «**أسلوب الإلقاء**»: الأسلوب الذي يكون فيه المعلم نشيطاً، مثل طرق المحاضرة والقراءة، وبصفة عامة،يكون نقل المحتوى في إتجاه واحد هو واحد من هذه الطرق التعليمية.

٢. «**أسلوب المناقشة**»: الطرق التي تعطي المتعلمين دوراً أكثر، أو أنهم يسترشدون حتى يصلوا إلى استنتاجاتهم الخاصة. يمكن الإشارة إلى هذه الأنواع من الأساليب على أنها تحل المشاكل وتشمل المكاشفة والنقاش؛ ويسمى هذا النوع من التعليم «المثلث النشيط للتدريس[٤].

٣. **مناهج التعليم والتعلم ومعايير الإختيار:** هي مجموعة من الأنشطة التي تحدد دور المعلم والطالب في تحقيق التعلم الفعال، ما يحدد إختيار هذه المناهج هو أن الطالب يشارك بنشاط في عملية التعلم والتعلم يدار على سبيل «المناقشة» حيث يوفر فرصاً لإتخاذ القرار وقبول المسؤولية ويشارك الطالب المعلم في التصميم والتنفيذ والتقييم. «أساليب المناقشة» تسبب مجالاً لظهور براعات الإحتجاج في التعلم[٥].

٤. **أسلوب التقويم:** في اللغة، بمعني عملية تحديد قيمة العمل أو شيء ما صدر[٦] وفي التعليم، يطلق على احدى عملية التعلم ويشير إلى جمع المعلومات من خلال الإختبارات والملاحظات والأساليب الأخرى بناءعلى مراجعة التقدم والحالة الفردية والجماعية، وهو وسيلة التحديد نجاح البرامج في تحقيق الأهداف التعليمية المطلوبة، تقييم الطلاب من الأساليب التي كان الإمام الصادق يهتم بها في عملية التعليم؟

الطريقة التي ينتقد بها الإمام تلاميذه. تستطيع هذه الطريقة أن تكون من الأساليب المفضلة. هناك طريقتان متميزتان في هذا الصدد تستنتج من التدقيق في الروايات:

أولاً: إختبار الطالب الفعلي: كان يختبر الإمام الصادق الطالب بطريقة عملية، ثم يشرف بعناية على أفعاله، وفي النهاية، ينتقد بدقة ما تعلمه الطالب وقدمه. مثلا، كان شخص من أهل الشام يدعي بأنه خبير في العلوم الإسلامية، ودعا إلى النقاش مع الإمام؛ لكن الإمام، بعد تحديه خلال سلسلة من الأسئلة، دعاء إلى المناقشة مع طلابه. حضر هذه المناقشة بعض طلاب الإمام الذين كانوا خبراء في كل فروع من العلوم الإسلامية ممن كانت ثقة الإمام بعلومهم وثيقاً. و دعا الإمام كل واحد منهم إلى الدخول في المناقشة(٧)، ثم وضح ضعف وقوة كل واحد منهم الكل. كان الإمام قد يسأل من طالبه ويختبر معرفته، على سبيل المثال، طلب من الهشام أن يعيد ما تعلمه فيما يتعلق بوصف في الحقيقة، كان الإمام الله يوجه تلاميذه إلى حل المسألة تقييماً لبراعاتهم، حيث كانت تستخدم هذه المهارات في تحليل المسائل، تطبيق الأساليب وفتح الظروف المعقدة(٨).

ثانياً: تقييم براعة التلاميذ وتصحيحها بطلبهم كان يجري هذا الأسلوب في جو تعليمي حميم بين الإمام وطلابه، كما أن هذا الأسلوب كان يقضي على عيوب الطلاب التعليمية، إضافة إلى أنه كان يضاعف من سرعة حركته في مسار التعلم. على سبيل المثال، أراد طالب أن يعرض دينه على الإمام ويذكره بضعفه. أيضاً وصف طالب آخر أئمة الشيعة للإمام وقيم الإمام، نتيجة عمله بشكل إيجابي قائلا، قدم داود بن فرقد تقريرا للإمام الصادق عليه السلام لك من مناقشته مع أحد أعداء أهل البيت الله، مما أدى إلى رضي الإمام عليه السلام. ألقي تلميذ آخر محاضرة في آرائه الكلامية مما نال تأكيد الإمام الصدوق،، طلاب آخرون أبلغوا تقارير مناقشاتهم إلى الإمام الله لتقيمها وكذلك الكتب التي كتبها طلاب الإمام حول ما تعلموه منه ثم قدموها إلى الإمام الله للتصحيح والتقييم؛ و كان الإمام يصحح معتقداتهم وأفكارهم(١٠).

أسلوب الأملاء

أبدع في هذا الفن أئمة أهل البيت ومن بعدهم وجوه الشيعة وشيوخهم فكانت من الطرائق الأساسية في التعليم، وكان لهم عدة كتب تسمى الأمالي، أي ما يمليه المعلم على

تلاميذه في مجلس وأحد أو مجالس عدة وفي أيام معينة أو في مواسم خاصة مثل آمالي الصادق وهو من إملاء الإمام الصادق عليه السلام على تلاميذه في مختلف العلوم. وهي عدة مجالس تناولت فيها تأويل الآيات والمختلف من الحديث، وطريقة الإملاء أن يتخذ المعلم مقعداً أرفع من غيره وينفرد بالكلام فيبدأ بذكر الله والحمد له والصلاة على رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم الاطهار) ثم يملي ما عنده، وبين يديه من يكتب ومن يستمع فإذا انتهى أضاف الشروح والإيضاح وأجاب عن الأسئلة، ومن دون ذلك من الأصول التي كتبت ولا تقتصر هذه الطريقة على تناول الفقه وأصوله وعلوم اللغة والتفسير وإنما أيضاً تشمل الدعاء والوعظ والإرشاد، ففي كل الأحوال لا تنفصل التربية عن التعليم ويجب أن تقترن الموعظة بالقدوة، فيكون التعليم بالعمل قبل الكلام[١١]، ويكفي أن نضرب مثلاً للمواعظ ما ورد عن الإمام علي عليه السلام من خطب وكلمات طوال، وفي الدعاء في الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام والأملاء طريقة النسخ اي الطريقة السائدة في نقل العلوم وتدوينها فقد اشتدت الحاجة إلى أن يملي المعلم على طلابه بعض الأمالي، وكانت الأمالي تشتمل على آراء السابقين في المسألة، ومناقشة المعلم لتلك الآراء، ثم طرح آرائهم أو تجاربهم العملية في الموضوع. وكان الطالب يكتب في أول الدرس: أملاه شيخنا فلان[١٢]، وخلاصة هذه الطريقة أن المستملي كان ينصت له الحاضرون من الطلاب، ويبدأ المدرس بذكر الله والصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم والاطهار) ثم يملي ما يريد تعليمه، ويكتب الطلاب خلف المدرس، وبعد الانتهاء يعرج على الشرح والإيضاح وتفسير الفقرات الغامضة، ويدون الطلاب هذه الشروح على هامش الأوراق التي كتب عليها الأصول[١٣]، وكان على المدرس أو الشيخ أن يضبط كل كلمة يقولها ليتقيد الطالب بما يسمع، وهذه الطريقة في التدريس كانت مشهورة بين العلماء أو المربين حتى سميت بعض الكتب في ذلك الوقت الأمالي، ولما تطورت الحركة العلمية وبلغت ذروتها واستعمل الورق، أصبح الإملاء من مراتب التعليم العالية[١٤].

من اهم طرق الاملاء: من السماع إلى كلام الشيخ ينقسم إلى نوعين: إملاء وتحديث من دون إملاء. ويشمل ذلك ما يتم حفظه من الشيخ، حيث يُعتبر هذا القسم من أفضل الأقسام[١٥]. ينقسم ذلك إلى ما يلي: أ - قول "سمعت"، والذي يُستخدم عند الاستماع إلى الحديث من الشيخ. ولا يُستعمل هذا التعبير في حالات الإجازة أو المكاتبة أو في حالة التدليس إذا لم يكن الحديث مسموعًا. ب - قول "حدثني" و"حدثنا"، وهما يشيران إلى أن

الشيخ قد قرأ الحديث عليه، ولكن هذين اللفظين قد يحملان أيضًا معنى الإجازة، بينما يختلف الأمر مع كلمة "سمعت". ج - قول "أخبرنا"، الذي يُستخدم للدلالة على الأخبار التي يتم نقلها. ولكن، على الرغم من أن كلمة "أخبر" تُستخدم في حالات الإجازة والمكاتبة، إلا أنها تُعتبر أقل شيوعًا. د - قول "أنبأنا"، التي تُستخدم غالبًا في حالات الإجازة، ولكنها نادرًا ما كانت تُستعمل قبل ظهور الإجازة، فما بالك بعد ظهورها.

يعد "الامالي" من المواضيع التي غالبًا ما تكون عنوانًا لعدد من كتب الحديث. يشير هذا المصطلح إلى الكتاب الذي يتم فيه تسجيل الأحاديث التي يسمعها الطالب من شيخه، سواء كانت من إملاء الشيخ عن ظهر قلب أو من كتابه الخاص. عادةً ما يُجرى هذا النوع من السماع في مجالس معينة، ولهذا يُطلق عليه أحيانًا "المجالس" أو "عرض المجالس". يشبه هذا النوع من الكتب في قوة اعتماده ودقته الكتب التي تُسمى "الأصول"، حيث يكون احتمال حدوث خطأ أو نسيان فيها ضئيلًا للغاية، خصوصًا إذا كان الإملاء صادرًا عن كتاب مُصحح أو من حفظ الشيخ، بشرط أن يكون معروفًا بقدرته على الحفظ والإتقان. الفرق بين "الأصول" و"الامالي" هو أن الاعتبار في الأصول يختلف بحسب المؤلفين، بينما تكون الأحاديث المسجلة في "الامالي" أكثر موثوقية عندما تكون مستمدة من السماع المباشر من الشيخ. كانت طريقة السماع من الشيخ تعتبر الطريقة الأكثر شيوعًا بين طلبة الحديث في العالم الإسلامي، بما في ذلك الشيعة الإمامية[١٦].

من امثلة طريقة السماع من المعلم:

- كتب المفضل بن عمر كتاب الاهليلجة[١٧] من املاء الصادق عليه السلام في التوحيد سوف نذكر ذلك في ملحق رقم عن أملاء الامام الصادق عليه السلام.
- طريقة القراءة على الشيخ أو العرض[١٨].

القراءة تتحقق في جميع الحالات، سواء كنت أنت القارئ أو كان شخص آخر يقرأ وأنت تستمع، أو إذا قرأت من كتاب أو حفظك الخاص. كما يمكن أن يتضمن ذلك حالة حيث يكون الشيخ قد حفظ النص الذي يقرؤه عليه ثم يتلوه، ولكن الأصل يبقى في يد الشيخ أو في يد شخص موثوق به. يقول الراوي في حالة العرض: "قرأت على فلان" أو "قرأت له وأنا أسمع"، فيقر بذلك. وقد يُقال أيضًا "حدثنا فلان" أو "قرأت عليه" أو "أخبرنا

بقراءته عليه"، وكذلك يمكن أن يُقال "أنشدنا له قراءة" عند الحديث عن الشعر[١٩]. قال حدثنا عند تحديدنا للالفاظ المستعملة في تحمل الحديث وتلقيه معنى القراءة على الشيخ ومن الامثلةعلى هذه الطروهي استنساخ الدروس في غياب التلميذويعرضها على الأمام للتاكد من صحته روايتها مما املاءه ولم احضره. ولكن استنسخته وقرأته عليه. وسمع المتكلم هو احد تلامذة الأمام وكان يقرأ عليه هو ووالده وكان يستنسخ الدروس من والده عند غيابه عنها يعرضها على الامام للتأكد من صحة روايتها، ومما يؤيد ما ذهبت اليه ان المجلس. يعبر الراوي عن هذه الطريقة عندما يرغب في رواية ذلك بقول: "قرأت على فلان" أو "قرأت له وأنا أسمع"، كما قد يذكر أن الشيخ قد قرأ عليه بنفسه[٢٠].

من الأساليب المعتمدة في العرض، يذكر عبيد بن محمد بن قيس البجلي أنه نقل عن والده قوله: "عرضنا هذا الكتاب على الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام"، فأجاب قائلاً: "هذا قول أمير المؤمنين عليه السلام"، موضحاً أنه كان يذكر هذا عند بداية الصلاة. ومن خلال هذا، يمكن ملاحظة أن أسلوب التعليم يعتمد على قراءة الطالب على الشيخ بشكل فردي غالباً، حيث يكون للطالب حرية اختيار الموضوع الذي يرغب في تقديمه. وعند دراسة هذا الموضوع، يعرض الطالب الكتاب الذي يتضمن ما يتعلق به. يقوم الطالب أو غيره بقراءة الكتاب الذي سيُدرس أمام الشيخ، مما يتيح له الاطلاع المباشر على محتويات الكتاب أو الكتب التي تُدرس تحت إشرافه وحضوره. وبعد أن تتم عملية التعليم يصح للتلميذ أن يروى الكتاب أو الكتب التي درسها على شيخه وان القراءة على الشيخ فيه ان طريقه السماع على الشيخ افضل في نظر الطلبة من طريقة العرض او القراءة على الشيخ.

اسلوب السؤال والجواب

تعد الأسئلة وسيلة مهمة للكشف عن الحقائق واكتساب المعلومات والمهارات، وتوضيح الغامض، فقد صارت عنصراً مهماً في كل درس يلجأ إليها المدرسون والتلاميذ[٢١]، ومن خلال السؤال يتوصل إلى معرفة الفروق الفردية عند المتعلمين ومدى استيعابهم للمادة، وقد يكون السؤال مفتاحاً للإبداع والتفكير وأسلوباً لحل المشكلات. وطريقة السؤال من بين الطرائق التي اعتمد عليها الإمام الباقر في تدريسه لتلامذته، وكان عليه السلام يحث على التعلم والسؤال من أهل العلم يقول عليه السلام: «العلم يشبه الكنوز التي لا تُفتح

إلا بمفتاح السؤال، لذلك اسألوا برحمة الله، فإن السؤال في العلم يمنح الأجر لأربعة أشخاص: من يطرح السؤال، ومن يجيب عنه، ومن ينصت إليه، ومن يحب هؤلاء جميعاً.» عند الحديث عن طريقة السؤال التي كانت تُطرح على الإمام الباقر عليه السلام. ومن الأمثلة على ذلك ما نقله الطبرسي في كتاب *الاحتجاج*، حيث ورد عن أبي حمزة الثمالي رواية أبي الربيع، الذي قال: خرجت للحج بصحبة الإمام محمد الباقر عليه السلام في عام كان فيه هشام بن عبد الملك يؤدّي الحج أيضًا. وكان برفقته نافع، مولى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه). وحينما رأى هشام الإمام واقفًا عند أحد أركان الكعبة محاطًا بجمع غفير من الناس، تساءل بدهشة: "من هذا الذي تجتمع عليه هذه الحشود؟" فأجابه أحدهم: "هذا محمد بن علي بن الحسين عليهما السلام." ومن خلال هذه اللقاءات في موسم الحج، يتجلّى الدور الكبير لهذا المؤتمر الإسلامي السنوي، حيث يجتمع المسلمون من شتى أنحاء العالم.

تلك الشعيرة المقدسة وقد أفاد الإمام الباقر عليه السلام من تلك المواسم ليبث آراءه العقائدية والفكرية فكانت إحدى أساليب عرضه للفكر الإسلامي وكان الآلاف من مختلف الجهات كالعراق وخراسان وغيرها، يأتون إليه ويستفتونه في موسم الحج، وهذا يدلل على الامتداد الروحي والشعبي الواسع النطاق الذي كان يتمتع به الإمام الباقر عليه السلام، فكان موسم الحج مناسبة خصبة لتنهل الجماهير من فيض علمه وكان يجيب على أسئلة الحجيج الوافدين على مجلسه، فالإمام الباقر يعبر عنه في سؤال ابن هشام حينما يراه في الحج فيقول: من هذا؟ فيقال له: هذا من أفتتن به أهل العراق، أو هذا إمام أهل العراق، كان الأئمة عليهم السلام يعتبرون أن من الأمور المرتبطة بالحج، زيارة الإمام عليه السلام لتجديد العهد معه وإظهار الولاء وتقديم النصرة. فقد ورد عن الفضيل أن الإمام الباقر عليه السلام رأى الناس يطوفون حول الكعبة، فقال: "كان هذا هو طوافهم في الجاهلية، بينما أُمروا بالطواف ثم الاتجاه إلينا ليعلنوا محبتهم ويثبتوا ولاءهم لنا ويعرضوا نصرتهم." وفي رواية أخرى، قال عليه السلام: "ما طُلب منهم إلا أن يتموا شعائرهم ويقضوا مناسكهم، ثم يمروا بنا ليؤكدوا ولاءهم لنا ويعرضوا نصرتهم..

اما الجواب تعتبر المسائل والرسائل فهي طريقة السؤال والجواب فكان يكتب الطالب إلى أستاذه يسأله عن مسائل، فيرد عليه جوابها وهذه الطريقة كانت شائعة في عصر الإمام الصادق عليه السلام ولاسيما إذا أشتهر أحد العلماء بعلم من العلوم أتته الرسائل تحمل استفسارات ومسائل فيجيب عنها.

فكانوا يكتبون الى الائمة فيجبون عليها الاىمة، يُروى عن عبد الرحيم بن علي القصير أنه كتب بواسطة عبد الملك بن أعين رسالة إلى الإمام الصادق عليه السلام، يسأله فيها عن رأيه بشأن بعض الأشخاص في العراق الذين يصفون الله بالصورة والتخطيط. وقال في رسالته: "إن رأيت - جعلني الله فداك - أن تبين لي العقيدة الصحيحة في التوحيد." وكان الإمام عليه السلام يطلع على مثل هذه الرسائل، ويجيب عنها أحياناً، مشيراً إلى اسم المكان الذي وردت منه أو الشخص الذي أرسلها. ومن أمثلة ذلك كتاب "المسائل" الذي كتبه داود الصرفي بعد لقائه بالإمام زين العابدين عليه السلام، وكذلك كتاب "المسائل" الذي أرسله الحلبي إلى الإمام الصادق عليه السلام. ولأجل تحقيق الاتصال بين المعلم والمتعلم بنحو كامل يكون الاهتمام بالتساؤل، وصياغة السؤال ضرورة مهمة تديم حيوية المناقشة وتوفر تبادلاً حراً للآراء وتوصل إلى إدراك وفهم أفضل للموضوع. ولما يحيط بالقضايا المطروحة، عن الصادق عليه السلام قال: إنما يهلك الناس لانهم لا يسألون. وقال: ان هذا العلم عليه قفل ومفتاحه المسألة.

ان كتب المسائل، عبارة عن اجوبة المسائل ارسلها أو وجهها. مباشرة، طلبه للائمة. ويدل اقران تلك المسائل ببلدان مختلفة نائية، انها ترسل، على الأغلب، الى الائمة عند تعذر لقائهم. اضافة الى كثرة الكتب التي تحمل عنوان، المسائل، كان الإمام عليه السلام بعد إجابته عن تلك المسائل يكلف أحد طلابه بجمع هذه الأجوبة في كتاب يُعرف بـ"المسائل". وغالباً ما يُقرن الكتاب باسم المكان الذي أُرسلت إليه المسائل[٢٣]، أو باسم الإمام الذي قدّم الإجابات عليها، أما الرسائل فكان يكتب الطالب إلى أستاذه يسأله عن مسائل، فيرد عليه جوابها وهذه الطريقة كانت شائعة في عصر الإمام الصادق عليه السلام ولاسيما إذا أشتهر أحد العلماء بعلم من العلوم أتته الرسائل تحمل استفسارات ومسائل فيجيب عنها، وكانت اللقاءات في مواسم الحج الذي هو المؤتمر الأكبر الذي يلتقي فيه المسلمون من مختلف بلدانهم ليؤدوا تلك الشعيرة المقدسة وقد أفاد الإمام الباقر عليه السلام من تلك المواسم لبيث آراءه العقائدية والفكرية فكانت إحدى أساليب عرضه للفكر الإسلامي[٢٤]، ويُصور المؤرخون حياته الدينية في مواسم الحج وكيف أن الآلاف من مختلف الجهات كالعراق وخراسان وغيرها، يأتون إليه ويستفتونه، وهذا يدلل على الامتداد الروحي والشعبي الواسع النطاق الذي كان يتمتع به الإمام الباقر عليه السلام فكان موسم الحج مناسبة خصبة لتنهل الجماهير من فيض علمه وكان يجيب على اسئلة الحجيج الوافدين على مجلسه، فالإمام الباقر يعبر عنه في

سؤال ابن هشام حينما يراه في الحج فيقول: من هذا؟ فيقال له: هذا من أفتتن به أهل العراق، أو هذا إمام أهل العراق، كان الأئمة عليهم السلام يرون أن الحج لا يقتصر على أداء المناسك فقط، بل يشمل زيارة الإمام عليه السلام لتجديد الولاء والعهد معه وتأكيد النصرة له. فقد ورد عن الفضيل أن الإمام الباقر عليه السلام نظر إلى الناس وهم يطوفون حول الكعبة فقال: "هكذا كان طوافهم في الجاهلية، بينما أُمروا بالطواف ثم المجيء إلينا ليعلنوا محبتهم ويعرضوا نصرتهم علينا." وفي رواية أخرى، قال عليه السلام: "لم يُطلب منهم إلا إتمام مناسكهم والوفاء بنذورهم، ثم المرور بنا ليخبرونا بولائهم ويجددوا نصرتهم لنا.

والتسائل هو من أهم المناهج التعليمية، لأنه يهدف إلى تشجيع الطلاب على التفكير والفضول والإستكشاف[٢٥] عندما يتم تشجيع الطلاب على طرح الأسئلة وتعلم كيفية تصميم السؤال، سيكون فهمهم للمواد التعليمية أكثر فأكثر[٢٦] من فوائد هذا الأسلوب:

١. القضاء على غموض الطلاب،
٢. إستكمال معلومات الطلاب غير الكافية وغير المكتملة حيث يشجع الطلاب على معرفة المزيد حول الموضوع.
٣. خلال عملية الأسئلة والأجوبة،
٤. يستخدم الطالب أيضا الإجابات المقدمة لأسئلة الآخرين ويزيد من نطاق معلوماته.

أهداف هذا الأسلوب

- تتلخص في تحفيز التفكير والقوات والرغائب.
- تعزيز قوة التفكير الإختيار وبناء الثقة في الطلاب.

يبدأ بعض روايات الكتب الأربعة بكلمة «سألت» حيث يشير إلى أن الأئمة الك فتحوا مجال البحث لطلابهم، وأشرفوا على جودة تطورهم العلمي. تعتبر هذه الطريقة كطريق الإمام الرئيسي لتعليم الطلاب معتمدا عليهم. هذا يعني أن أكثر الأسئلة كانت تطرح من جانب طلاب الإمام الصادق. «سلوني قبل أن تفقدوني فإنه لا يحدثكم أحد بعدي مثلي حتى يقوم صاحبكم) «العلم خزائن، والمفاتيح السؤال؛ فاسألوا يرحمكم الله)(٢٧) وكان الإمام يتبع هذا الأسلوب بأشكال شتي:

- **تحريض الطالب على السؤال:** كان الإمام ينبه طلابه بأن فوائد السؤال العلمية والتعليمية، تعود إلى الطالب: «إنما يهلك الناس لأنهم لا يسألون» (إن هذا العلم عليه قفل ومفتاحه المسألة).

- **الإستقبال عن سؤال الطالب ومرافقته السؤال والجواب:** يحدث عندما يكون الإحترام المتبادل بين المعلم والمتعلم مسيطراً. كلما يرد المعلم ردا غير مناسباً على أسئلة الطلاب أو يرد بارداً، فإن كمية الإستجواب تنخفض من قبل الطلاب تدريجيا عندما يكثر العمل ورد الفعل بين المعلم والطالب بواسطة السؤال والجواب، طبعاً يهتم المعلم بالطالب أكثر، وكان هذا الأمر بارزاً في أسلوب تدريس الإمام حيث كان الإمام يهتم بالطلاب ويستقبل أسئلتهم بالحنان وطلاقة الوجه ومكارم الأخلاق (حتى أن أعداء الإمام أيضاً كانوا يعترفون بصبره وأخلاقه الحميدة)، فعندما يسألونه ويجيبهم وباي لغة الطالب الفارسي والنبطي والحبشي وأي شخص بأي لغة و دين كان يدخل مجلس الإمام و لم يكونوا يخافون من طلب تفسير اكثر من الإمام حول السؤال الذي يدور في ذهنهم كما يقول محمد بن مسلم أنه كان يسأل الإمام جميع أسئلته حتى بلغ عدد الأحاديث الواردة رداً على أسلئته إلى ثلاثين ألف. و في هذا الصدد، يمكن الإشارة إلى نقاش هشام بن حكم مع الإمام حول أسماء الله؛ و أن الإمام كان يجيب عن أسئلته بإنشراح الصدر؛ وكلما كان هشام يقول للإمام «زدني» كان يفتح له أبعاداً كثيرة عن السؤال، كما تكررت كلمة «زدني» كراراً في أسئلة سفيان الثوري من الإمام الشامي ما يهم في هذا المجال، العلاقة الحميمة بين الإمام وطلابه ومرجعيته العلمية لهم، أي أن تلاميذ الإمام كانوا يعرفون متي يحتاجون إلى الإمام ليجيب عن أسئلتهم، فهو بين أيديهم، يمكن الإستشهاد بهذا الموضوع في العديد من التقريرات، أشتهر هذا الأمر كواحد من أركان تعاليم الإمام الصادق الله وهو أساس مجالسة الأستاذ مع الطالب ويعلمهم الأخلاق والعلم والكرامة، وكان الطلاب يرافقون الإمام فترة طويلة لإكمال تعليماتهم[٢٨].

- **إلقاء أسئلة مستمرة ومثيرة للتفكير:** الغرض من الأسئلة المتتالية هو تحفيز ذهن الطالب وتدريبه للعثور على الإجابة المطلوبة، حيث يتأمل في المسألة أكثر مركزاً

على الحواس والتفكير؛ وهذا ما يوصله إلى مستويات أعلي من التعلم، ويجعل أسئلته واضحة ودقيقة وعمقاً[٢٩]. هذه الطريقة، كانت من الطرق المستخدمة من قبل الإمام في عملية التعليم. عندما كان شخص من أهل الشام يحسب نفسه خبيرا في العلوم الإسلامية نحو: الفقه والدين والكلام ويدعوه إلى النقاش، فإن الإمام نبهه بجهله مستخدماً هذه الطريقة وفي النقاش مع أبو حنيفة الذي كان يؤمن بالرأي، إستخدم نفس الأسلوب. وعندما فشل هشام بن حكم في الإجابة على شخص ملحد في النقاش، أرشد الإمام هشاماً إلى الجواب بنفس الطريقة رويت مثل هذه الأسئلة المتتالية من قبل الإمام أو تلاميذه، كراراً في المصادر التاريخية والحديثية في هذا المجال، يمكن الإشارة إلى تصميم الأسئلة المثيرة للتفكير من قبل الإمام الله التي لا يمكن الإجابة عنها للمجيبين مسبقا ويستخدم هذا التصميم للإقناع، إكمال المعلومات السابقة، خلق الأفكار الجديدة وإستخدام المعارف في مواقف مختلفة. في الواقع، سيجد الطلاب الذين إعتادوا التفكير إدراكاً أفضل للمفاهيم والأساليب العلمية في تصميم السؤال والأسئلة الفكرية. في هذا الأسلوب كان الإمام يلقي سوالا غير مألوفاً، يتحدي ذهن الطالب. مثلا، قال الله: «إتقوا الحالقة فأنها تميت الرجال. قلت: و ما الحالقة؟ قال: قطيعة الرحم»، و في رواية أخرى بعد أن سلم حمران بن أعين معتقداته هكذا للإمام: «قال حمران: أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وهو منزّه عن التشبيه والتعطيل معاً. وأؤمن بأن الحق يكمن في الوسط بين القولين: لا جبر ولا تفويض. وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُعلي هذا الدين على كل الأديان الأخرى، ولو كره المشركون. وأؤمن بأن الجنة والنار حق، وأن البعث بعد الموت حقيقة لا شك فيها. وأشهد أن علياً هو حجة الله على خلقه، وأن جهله لا يعذر أحداً. وأشهد بأن الحسن من بعده، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي، وأخيراً أنت يا سيدي بعدهم.». وعندما وصل حديثه إلى هذا الموضع، قال الإمام الصادق عليه السلام: *تمسك بخط الاعتدال يا حمران*. ثم أضاف: يا حمران، افصل بينك وبين العالم باستخدام المطمر. فسألت: وما المطمر يا سيدي؟ فأجاب: هو ما تطلقون عليه خيط البناء. فمن خالفك في هذا النهج فهو زنديق. فسأله

حمران: حتى لو كان من العلويين الفاطميين؟ فقال الإمام عليه السلام: حتى وإن كان محمدياً علوياً فاطمياً.». كان يقدر الإمام من البداية أن يبين المعاني التي يعرضها في النهاية قبل ما يسأل الطالب سؤاله؛ بما أن هذا الأسلوب، يسبب التحدي ويحفظ جاذبيته للطالب، كان يؤدي إلى نقل المواد من ذاكرة قصيرة المدى إلى ذاكرته طويلة المدى(٣٠).

الكتاب والكتابة

الكتاب:

لم يكن منهج تعليم العلوم عند الشيعة الإمامية يعتمد تقسيم المواد إلى موضوعات محددة كالفقه والحديث وغيرها من العلوم الشرعية. بل كانت الدراسة تتم مباشرة على أيدي الأئمة أو الشيوخ، باستخدام كتب متوارثة انتقلت عبر الأجيال من الأئمة إلى أبنائهم، أو من خلال ما يُلقيه الإمام أو الشيوخ من معارف في العلوم الشرعية التي تلقوها إما مباشرة أو عبر وسائط موثوقة من الأئمة. كما أن هناك مجموعة من الكتب التي ألّفها الشيوخ واعتمدوا عليها كأساس للتعليم، والتي تناولت موضوعات متنوعة، بعضها لم يكن له صلة مباشرة بالعلوم الشرعية.

أما المؤلفات الأساسية التي تناولت العلوم الشرعية، فقد بلغ عددها حتى نهاية عصر الأئمة حوالي أربعمائة كتاب.،قام الإمامية، منذ عهد الإمام علي عليه السلام وحتى عهد الإمام الحسن العسكري عليه السلام، بتأليف أربعمائة كتاب عُرفت باسم *الأصول*(٣١). وهذا هو المقصود بقولهم: *أصل*. ورث الأئمة المعصومون عليهم السلام عن الإمام علي عليه السلام مجموعة من الصحف التي تضمنت أحاديث جمعها ودونها عن النبي صلى الله عليه وآله. وكانت هذه الصحف من بين المصادر الأساسية التي اعتمدها الأئمة في تعليم أتباعهم. ومن بين هذه الصحف، قام الإمام الباقر عليه السلام بتدريس *صحيفة كتاب الفرائض*، وهي إملاء من رسول الله صلى الله عليه وآله بخط الإمام علي عليه السلام، لعدد من تلاميذه البارزين، مثل محمد بن مسلم وزرارة بن أعين، الذي وصف تلك الصحيفة بأنها بحجم فخذ البعير. ومن الصحف الأخرى كتاب يسمى كتاب علي ومن الصحف التي أخرجها الصادق عندما سئله ابو بصير عن الفرائض كتاب جليل ذو شان وقيمة رفيعة تسمى الجامعة وقد كتب عليها جامعة العلوم الإلهية التي رواها عن النبي

مباشرتا وأن نفسه محيط بتلك العلوم كان علم الإمام علي عليه السلام يُنتقل إلى الأئمة المعصومين من بعده بشكل متتابع، حتى وصل إلى الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) بعد غيبته الكبرى في عام ٢٦٠هـ. وفي فترة مبكرة، بدأ شيوخ الشيعة بتأليف الكتب التي أصبحت مرجعية لطلاب العلم في مختلف العلوم الشرعية. وقد روى ابن زرارة عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: *احتفظوا بكتابتكم، فأنتم ستحتاجون إليها في المستقبل* قال للمفضل بن عمر: "اكتب علمك وشاركه مع إخوانك، لأنهم قد ينسون ما يكتبون.

أول من صنف في الإسلام هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، إذ جمع كتاب الله عز وجل. ثم جاء بعده سلمان الفارسي (رضي الله عنه)، ثم أبو ذر الغفاري (رحمه الله)، تلاه الأصبغ بن نبانه، ثم عبدالله بن أبي رافع، وأخيراً الصحيفة السجادية الكاملة التي نُقلت عن الإمام زين العابدين عليه السلام.

اهم الكتب التي عند الصادقين عليهما السلام من غير القران الكريم:

- **الصحيفة أو الجامعة**

فهو كما يظهر من محتوياته مصحف خاص و كتاب أصولي من إيحاء النبي صلى الله عليه وآله وخط الإمام علي عليه السلام. والجامعة كتاب طوله سبعون ذراعا من إملاء النبي صلى الله عليه وآله وخط الإمام علي عليه السلام، فيه ما يحتاج إليه الناس من الحلال والحرام وغيره حتى ليصل بالتفصيل إلى أرش الخدش. وقد وصفها الإمامان الباقر والصادق عليهما السلام، وشهدها عندهما الثقات من أصحابهما، منهم أبو بصير. بهذا المضمون عن الإمام الصادق عليه السلام: عندنا ما لا نحتاج إلى أحد، والناس يحتاجون إلينا، وأن لدى الأئمة صحيفة تحتوي على إملاء من رسول الله صلى الله عليه وآله بخط الإمام علي عليه السلام، وهي صحيفة طولها سبعون ذراعاً[٣٢]، وتضم جميع الأحكام الشرعية المتعلقة بالحلال والحرام.". أن الصحيفة الجامعة تحتوي على جميع الأحكام الشرعية دون ترك شيء، فهي تشمل الحلال والحرام. وقد حاول أصحاب القياس طلب العلم باستخدام القياس، لكن ذلك لم يُقربهم من الحق بل زادهم بُعداً عنه، لأن دين الله لا يُفهم بالقياس.، ومن جلالة شأن هذا الكتاب، قال فيه محمد بن سيرين لو أصبت هذا الكتاب كان فيه العلم كله.

عن علي عليه السلام، قال : " والله ما عندنا كتاب نقرؤه عليكم إلا كتاب الله وهذه الصحيفة

معلقة بسيفه أخذتها من رسول الله ﷺ، فيها فرائض الصدقة. وسميت الصحيفة، أو كتاب علي، أو الصحيفة العتيقة[٣٣].

- **مصحف فاطمة[٣٤]:**

ومن التراث العلمي عند الشيعة ما يسمى «مصحف فاطمة»سئل الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن جدته فاطمة الزهراء عليها السلام فأجاب قائلا: " إن جدتي فاطمة مكثت بعد أبيها رسول الله ﷺ خمسة وسبعين يوما، وكان قد دخل عليها الحزن على أبيها، وكان جبريل يأتيها فيحسن عزاءها ويطيب نفسها ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها وكان علي يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة ".فليس هذا مصحفا بالمعنى الخاص بكتاب الله تعالى، وإنما هو المدونات.ونزول جبرئيل الأمين إنما لم يكن بعد رسول الله بعنوان الوحي والتشريع، لأن برحلة النبي ﷺ انقطع الوحي، أما للحديث مع سيدة النساء فلا ضير فيه، كما كلم جبرئيل أم موسى - في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾، وكذلك كلم السيدة مريم بنت عمران لما جاءها المخاض، وكان جبرئيل يكلم الخضر وهوليس بنبي... الخ. وكان رسول الله ﷺ يحث على تدوين الحديث، فقد روى الصدوق عليه الرحمة في " الأمالي ": أن رسول الله ﷺ قال: المؤمن إذا مات وترك ورقة واحدة عليها علم تكون تلك الورقة يوم القيامة سترا بينه وبين النار[٣٥].

- **الكتابة**

تمثل الكتابة او التدوين عاملاً مهماً في الحفاظ على التراث الفكري من الضياع، إذ أكد الصادقيين عليهما السلام على أهمية الكتابة والتدوين ودوره في حفظ التراث اقتداء بسيرة الرسول الأعظم ﷺ في تأكيده على التدوين وفق أوامر الله عز وجل بأهمية الكتابة، وبرزت أهمية الكتابة في عصر الصادقين عليهما السلام حيث استجدت ظروف منحت الكتابة أهمية أكبر ومن هذه الظروف:

١. كثرة طلبة العلم من بقاع العالم الإسلامي.
٢. ازدهار المعارف والأحكام الدينية.
٣. البعد الجغرافي لطلبة العلم عن الإمام الصادق عليه السلام وأن وتعذر وصوله إليهم، وان اكتساب العلم يتحقق من خلال وسيلتين:

الأولى: هي القراءة وهو ما أمر به الله عز وجل نبيه ﷺ (اقرأ) بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) و ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾[٣٦].

الثانية: فهى الكتابة التي قرنها بالقلم بقوله عز وجل ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾[٣٧] فالقلم هنا إشارة للكتابة، والقلم أداة الكتابة، إذ لا يمكن للإنسان أن يحافظ على ما تعلمه بالقراءة دون كتابته للحفاظ عليه من النسيان والضياع. أن المعنى من القراءة والكتابة يختص بعامة الناس دون رسول الله ﷺ لأن الله عز وجل هو من يُنزل العلم على قلب نبيه ﷺ وحاشاه عزوجل يبعث نبياً ينسى أو يسهو، فمناط القراءة والكتابة هنا هو ما يختص بعامة البشر حتى يحافظوا على العلم من الاندراس. وقد أكد الله عز وجل على الكتابة في أكثر من آية، فأشار الله عز وجل إلى القلم وهو وسيلة الكتابة، واشار الى الكتابة بقوله ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[٣٨]، أي ما يكتب بالقلم ويسجله الإنسان. لقدأكد رسول الله ﷺ على، الكتابة وأمر بها إذ قال: " قيدوا العلم وورد أن رجلاً من الأنصار كان يجلس مع رسول الله ﷺ ويسمع أحاديثه، لكنه كان يجد صعوبة في حفظها. فشكا هذا الأمر إلى النبي ﷺ فقال له: " استعن بيمينك وأوما بيده الخط، اما أئمة أهل البيت عليهم السلام فقد ساروا وفق كتاب الله المجيد وما أمر به النبي الاكرم ﷺ بضرورة الكتابة وتدوين العلم للحفاظ على التراث الفكري الإسلامي المستمد من القرآن الكريم وسيرة رسول الله ﷺ، فهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يحدث بأنه عليه وآله) أنه لم يصنع ذلك بأحد أن رسول الله كان يخلي بيته من نساءه أو بيت فاطمة وكان يملي على علي في بيت علي وجالسة فاطمة والحسن والحسين ويحثهم على كتابة ويقول هذا ذخرا لشركاء علي وعندما سئل علي منهم شركائي فاوام بيده الحسن والحسين، إلى جانب ذلك كان الإمام الباقر يدعو أصحابه إلى ضرورة تدوين الحديث ووجوب كتبه وحفظه كما يحفظ الذهب والفضة، كي لايتعرض للضياع والنسيان، عن جابر، قال الأمام الباقر «أقيد الحديث إذا سمعت؟ قال: إذا سمعت حديثاً من فقيه خير ثمنا في من ذهب وفضة»، لان كتابة الحديث كان خرقا السلطة

الحاكمة.ومارس الإمام الباقر الكتابة بنفسه، فقد ورد في أول الصحيفة السجادية أن السجاد عليه السلام املى على ولده الإمام الباقر وزيد الشهيد، وكتباه بخطهما(٣٩).

اوإنما أراد بهذا التدوين ايصال هذا التراث إلى ذريته من بعده حتى يكون مرجعاً ترجع إليه الأمة، فهذا أمير المؤمنين عليه السلام (يخطب الناس في الكوفة ويقول: " أن علياً عليه السلام كان يخطب الناس في الكوفة، فقال: "من يشتري علماً بدرهم؟"، فقام الحارث الأعور بشراء صحف بدرهم، ثم جاء بها إلى علي عليه السلام، فكتب له علماً كثيراً. بعد ذلك، خطب علي عليه السلام الناس وقال: "يا أهل الكوفة، عليكم نصف رجل. لقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يحث الناس على التعلم والأخذ من علوم أهل البيت عليهم السلام فكان يشجعهم ويحفزهم على التزود بالعلم. فقال لأهل الكوفة أن الحارث قد غلبهم لأنه طلب العلم فكان عليه السلام يكتب له العلوم وهذا التدوين للعلم نهج دأب عليه أمير المؤمنين عليه السلام للحفاظ على هذا العلم من النسيان والضياع حتى يستطيع المسلمون الرجوع إلى هذه العلوم المحفوظة في الصحف والكتب(٤٠).

فقد بدأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في توجيه المسلمين نحو حفظ وتدوين العلم، وفعّل هذا النهج أمير المؤمنين عليه السلام، الذي سار على هذا الطريق. وكذلك كان الإمام الحسن بن علي عليه السلام يوصي أبناءه وأبناء أخيه بالاهتمام بالعلم، بهذا المضمون: "يا بني وبني أخي، أنتم الآن صغار، ولكن سيأتي وقت تصبحون فيه كباراً، لذا يجب عليكم أن تلتزموا بتعلم العلم. أما من لا يستطيع حفظه أو نقله، فيجب عليه أن يكتبه ويحفظه في منزله. لقد رسخ أئمة أهل البيت عليهم السلام ومنهم الإمام الحسن عليه السلام في عقول ذريتهم منذ الصغر حب العلم وأهميته في رفع الإنسان إلى درجات السمو والكمال، مؤكداً عليهم أهميةالتعلم وتدوين ما تعلموه وحفظه في كتب في بيوتهم ليكون ارثاً تنقله الأبناء جيلاً بعد جيل. يروي أبو حمزة الثمالي أنه قرأ صحيفة تحتوي على كلمات من كلام علي بن الحسين عليه السلام حول الزهد، فقام بتدوين ما ورد فيها. ثم ذهب إلى الإمام علي بن الحسين عليه السلام ليعرض عليه ما كتبه، فتعرف الإمام على محتوى الصحيفة وأكد صحة ما ورد فيها(٤١).

كان أصحاب الأئمة عليهم السلام لا يتوانون عن تدوين ما يتعلمونه من تراث أئمة أهل البيت عليهم السلام لأنهم يسيرون على نهج أئمتهم في العمل بتدوين هذا التراث حتى لا يندرس ويضيع،

فكانوا يعرضون ما يكتبوه على الأئمة عليهم السلام، الذين يعملون على تصحيحه وتنقيته لهم مما يعلق به من الشوائب حتى يصلهم صافياً من كل ما اختلط به من هذه الشوائب، وهذا ما فعله الإمام علي بن الحسين عليه السلام مع أبي حمزة الثمالي، فهو لم يعترض على تدوينه لكلامه، انما عمل على تصحيح ما ورد فيه من أخطاء.إن تدوين تراث أهل البيت عليهم السلام أفضل الطرائق للحفاظ على هذا التراث، بعد ما جرى على أهل البيت عليهم السلام في واقعة الطف واستشهاد الإمام الحسين عليه السلام والحصار الذي فرضه بنو أمية على أهل البيت عليهم السلام فكان لابد من تسجيل هذا التراث وحفظه(٤٢).

وكتابة الكتب والحفاظ عليها أهمية كبيرة عند الإمام جعفر الصادق عليه السلام، كان الإمام عليه السلام يحث أصحابه على تدوين العلم ونشره، كما ورد عن حديثه مع المفضل بن عمر بهذا المضضمون قم بتدوين علمك وشاركه مع إخوانك. وإذا فارقت الحياة، فاجعل كتبك ميراثًا لأبنائك، لأن هناك زمنًا قادمًا سيسيطر فيه الفوضى، ولن يجد الناس من الراحة والاطمئنان سوى في كتبهم. عندما قال الإمام يامفضل فكر والكتب وكانت مع الطبيب الهندي ولقد اشار الإمام الصادق عليه السلام إلى أن ما يورثه الإنسان إلى بنيه هو ما يدونه من علم في الكتب، فتناقل الأجيال لهذه الكتب بما تحويه من علم سوف يكون انيساً للإنسان وطريقاً للنجاة في زمان الاختلاف بين أبناء الأمة فتكون هذه الكتب الملجأ الحصين للحفاظ على التراث الإسلامي لهذه الأمة. فكان لهذا النصح والإرشاد من قبل الإمام جعفر الصادق عليه السلام لأصحابه بأهمية التدوين وكتابة علومهم أثره في اتخاذ اصحابه هذا النهج طريقاً لهم للحفاظ على ما يتعلموه من أئمة أهل البيت عليهم السلام وهو ما كان يفعله مع من يقدم عليه من أهل الأمصار الذين كانوا يسألونه عن الأحاديث فيكتبونها،كان أمير المؤمنين عليه السلام (أول المدونين الذين كتبوا بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله القرآن الكريم وعلمه تأويله وتفسيره عن لسان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لأن في ذلك حفظاً لعلوم الشريعة وايصالها بصورتها الكاملة إلى المؤهلين للحفاظ عليها من أئمة أهل البيت عليهم السلام(٤٣) يروي الإمام محمد الباقر عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال لعلي عليه السلام: "اكتب ما أمليه عليك." فرد علي عليه السلام قائلاً: "يا نبي الله، هل تخشى أن أنسى؟" فأجاب النبي صلى الله عليه وآله: "لا أخشى عليك النسيان، فقد دعوت الله أن يحفظك، ولكنني أطلب منك أن تكتب ليكون ذلك لشركائك." فاستفسر علي عليه السلام: "من هم شركائي يا نبي الله؟" فأشار النبي صلى الله عليه وآله بيده إلى الحسن والحسين عليهما السلام، وأضاف: "الأئمة من

ذريتك.". كان لذلك كان الإمام جعفر الصادق عليه السلام يشير إلى أن لديهم ما لا يحتاجون فيه إلى الآخرين، في حين أن الناس بحاجة إليهم. وأضاف أن لديهم صحيفة طويلة تصل إلى سبعين ذراعًا، مكتوبة بخط أمير المؤمنين علي عليه السلام، وهي تحتوي على جميع الأحكام الشرعية، من حلال وحرام، وقد تم إملاؤها من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وأبناءه.

لم يحتكر أئمة أهل البيت عليهم السلام هذا التراث بل كانوا يحثون ويشجعون المسلمين على اقتناء هذا التراث العلمي للوصول إلى المعرفة الحقيقية للشريعة الإسلامية(٤٤).

فكان لهذا التدوين أثره البالغ في وصول تراث الإمام علي بن الحسين عليه السلام ومنه الصحيفة السجادية ورسالة الحقوق لقد كانت الكتب المدونة في تراث رسول الله صلى الله عليه وآله حجة الزم بها أئمة أهل البيت عليهم السلام المسلمين للعمل فيها بما كانوا يختلفون فيه، فعندما اختلف الحكم بن عتيبة مع الإمام محمد الباقر عليه السلام في مسألة روى الإمام الباقر عليه السلام أنه قال لابنه: "قم وأخرج كتاب علي عليه السلام ". فأخرج الكتاب، وكان مدونًا بشكل دقيق وعظيم، ففتح الكتاب وبدأ يقرأ حتى وصل إلى المسألة التي يبحث عنها. فقال أبو جعفر عليه السلام مشيراً إلى الكتاب: "هذا هو الخط الذي كتبه أمير المؤمنين عليه السلام بتوجيه من رسول الله صلى الله عليه وآله"، ثم أضاف: "فوالله، لن تجدوا علماً أكثر موثوقية من هذا الكتاب، خاصة لدى قوم كان ينزل عليهم جبرائيل عليه السلام.

أخرج الإمام محمد الباقر عليه السلام كتاباً من تراث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الذي دونه أمير المؤمنين عليه السلام فكان أئمة أهل البيت عليهم السلام يعملون به. فأصبح هذا الكتاب حجة لمن خالفهم، والزاماً لهم لأنه من املاء رسول الله صلى الله عليه وآله على أمير المؤمنين عليه السلام فحافظ الأئمة عليهم السلام عليه على خلاف غيرهم من المسلمين الذين ضيعوا هذا التراث بترك تدوينوه فالكتابة من الأمور التي حث عليها أئمة أهل البيت (عليهم على الكتابة لأن الإنسان بطبيعته يميل إلى النسيان نتيجة تزاحم الافكار لديه وما يمر به من ظروف حياتية وبسبب التقدم في العمر واختلاط المعلومات لديه فيدخله الاشتباه بين ما هو صحيح وما هو خاطيء. فلا سبيل لمعالجة حالة النسيان وفقدان المعلومات إلا بالكتابة وتدوين الكتب.

اما الإمام جعفر الصادق عليه السلام يقول: اكتبوا فأنكم لا تحفظون حتى تكتبوا(٤٥) فالكتابة هي الوعاء الحقيقي للحفاظ على المعلومة من النسيان والضياع، اذ يجب أن يدون الإنسان العلم في

كتب والحفاظ على هذه الكتب، كما قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام احتفظوا بكتبكم فإنكم سوف تحتاجون إليها. لأن وهو ما كان يفعله مع من يسألونه عن الأحاديث فيكتبونها(٤٦).

واهمية تدوين علوم اهل البيت عليهم السلام كان الصادقين يقدما الدواة لاصحابه لكتابة احاديثهم. سار أصحاب الأئمة عليهم السلام على الطريق الذي اختطه أئمة أهل البيت عليهم السلام من خلال تدوين أحاديثهم في أحلك واقسى الظروف التي مرت بها الأمة الإسلامية من تسلط وطغيان حكام الجور، فكانوا يدونون ما رواه الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام ويصنفونها في كتب حتى وصلت هذه الكتب إلى ايام إمامة الإمام محمد الجواد عليه السلام الذي شجع هذا النهج العلمي المبني على التوثيق للحفاظ على تراثهم الفكري حتى ينهل منه العلماء جيلاً بعد جيل(٤٧).

لقد كانت عمليات توثيق أحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام مستمرة من قبل الأئمة عليهم السلام فكان أصحابهم يعرضون ما دونوه من مرويات عليهم لتوثيق هذه المرويات المدونة فكان الصادقين عليهما السلام ومن قبله آباؤه الكرام عليهم السلام يوثقون هذه الكتب المدونة في تراث أهل البيت عليهم السلام للحفاظ عليها وابراز، الصحيح منها للعمل به وفرزالموضوع للحذر منه ورفضه(٤٨). ومع توثيق أئمة أهل البيت عليهم السلام لما كتبه أصحابهم من مرويات ابائهم الطاهرين عليهم السلام كانوا أيضا لديهم كتبهم المدونة التي تتضمن علومهم التي كانوا يضعونها لخدمة العلماء الباحثين في تراث ال محمد عليهم السلام(٤٩)، أن إخراج الائمة الكتب المدينة لتلاميذهم لكي يعمل به أصحابه يُظهر أن هذا الكتب يتضمن مسائل مهمة تخص جوانب تشريعية عديدة كان المجتمع الإسلامي في حاجة ماسة لهالتطبيق أحكام الشريعة.إن انتهاج أئمة أهل البيت عليهم السلام أسلوب التدوين منهجاً لحفظ تراثهم الفكري كان عاملا أساسياً حفظ لنا هذا التراث، فكانوا يقدمون ما دونوه لأصحابهم ليكون مادة يعمل به(٥٠).

الخاتمة:ـ

ركز هذا البحث على دراسة أحد الجوانب الهامة في التاريخ الإسلامي، حيث تم التخصيص لهذا الجانب وهو النظام التعليمي الشيعي في فترة الإمامين الصادقين عليهما السلام. هدف البحث كان الإجابة على سؤال محدد: ما هو النظام التعليمي الشيعي في عصر الصادقين عليهما السلام؟

من أجل التوصل إلى إجابة تاريخية دقيقة، تم جمع المادة البحثية من مصادر متنوعة،

بعضها يتناول التاريخ الإسلامي بينما يختص الآخر بمجالات التعليم والمعرفة العامة، وبعد البحث والتحليل توصلنا إلى عدة نتائج منها:

١. النظام التعليمي الشيعي في عصر الصادقين كان لهما دورا كبيرا في الحفاظ على النظام التعليمي الإسلامية والتراث الفكري الصحيح

٢. إن الفقه والكلام كانا مؤثرين بشكل ملحوظ على النظام التعليمي الشيعي وذلك بسب عصر ألفتن والغلاة

٣. إن الموقف العام للصادقين تجاه النظام التعليمي الشيعي كان إيجابياً مع المذاهب الأخرى.

٤. بعض أساليب التدريس التي اتخذها الصادقين عليهما السلام في القرن الثاني الهجرية نادت بها الدراسات الحديثة الان.

هوامش البحث

(١) ابن منظور، لسان العرب، ص٤٧١-٤٧٣

(٢) البستاني، محيط المحيط، ص١٢٢

(٣) حبيبي،روش هاىتدريس بيشرفته، ص١٦

(٤) فتحي أذر، روش ها وفنون، ص٢٠٣

(٥) ملكي،مباني أموزش بزركسالان، ص١٢

(٦) افشار،فرهنك معاصر فارسي، ص١٨٣

(٧) الكليني،الكافي،ج١،ص٤١٩

(٨) اقا زاده، راهنمايروشهاي، ص١٨٩

(٩) الفيداوي، اصحاب الإمام الباقر أهل الفتيا والفقه، ص٦٠

(١٠) الطوسي،رجال الطوسي، ص٣٠٥

(١١) الكليني،الكافي،ص٢٤

(١٢) أبن الصلاح، المقدمة: ص١٤٢، يقول ان أكثر المحدثين يسمون القراءة على لشيخ عرضا من حيث ان القارى يعرض على الشيخ ما يقرؤه كما يعرض القرآن على المقرىء.

(١٣) شلبي،تاريخ التربية الإسلامية، ص٣٧٤

(١٤) القزويني،الفكر التربوي عند الشيعة الأمامية، ص٢١٩

(١٥) أبن النديم، الفهرست: ١٧٦
(١٦) أغا بزرك الطهراني،الذريعة،ص٣٠٥
(١٧) ابن النديم، الفهرست، ص٣١٧
(١٨) ابن شهر اشوب، معالم العلماء، ص٤٥
(١٩) الحلي، الرجال، ص١٩٦
(٢٠) المفيد،الامال،ص٢٩
(٢١) عبد الرحيم، طرائق التدريس، ص١٦٦
(٢٢)القرشي،النظام التربوي في الاسلام، ص٢٣٧
(٢٣)القرشي، سيرة الإمام الباقر، ص٢٠
(٢٤) الكليني، الكافي، ص٢٦
(٢٥) آقازاده راهنماي، تدريسي، ص٢٢
(٢٦) فتحي اذر، روهاش وفنون، ص٢٥٥
(٢٧) المغربي، دعائم الإسلام، ص٢٩٣
(٢٨) فياض،تاريخ الإمامية، ص١٣١
(٢٩) صفوي، كليات تدريس، ص٢٧٢
(٣٠) الطوسي،مشكاة الانوار، ص٣٦٥
(٣١) الصدوق، الخصال، ص١٤٠
(٣٢) الطوسي، تهذيب الأحكام، ص١٢٥
(٣٣) الكليني،الكافي،ص٥٧
(٣٤) المتقي الهندي، كنز العمال، ص٥٥٢
(٣٥) الصدوق، الإجمالي، ص٢٩
(٣٦) ابن حيان، صحيح ابن حبان، ص٩٠
(٣٧) سورة العلق، اية١-٥
(٣٨)سورة القلم، اية١
(٣٩)ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٦ / ١٦٨
(٤٠) الحر العاملي، الفوائد الطوسية: ص ٢٤٧.
(٤١) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول: ص ٣٨٦
(٤٢) حسيني زاده ١٣٩٥ ٣١٣
(٤٣) الرزينة، لالاني، تعاليم الأمام محمد الباقر: ص١٥٦
(٤٤) السمعاني، أدب الإملاء والاستملاء: ص٦٧.
(٤٥)الشاكري، حسن، تدوين الحديث وتاريخ الفقه: ص٢٦-ط١

(٤٦) شعباني، حسن، روش، تدريس بيشرفته،، ١٣٨٩-٣١٠
(٤٧) شفيعي، ١٣٨٦: ١٢
(٤٨) شلبي، أحمد، تأريخ التربية الاسلامية: ص٣٧٤
(٤٩) العذاري، شهاب الدين، ملامح المنهج التربوي عند اهل البيت: ص ٥٤
(٥٠) المظفر، محمد رضا، أصول الفقه، ١٥٦/ج٢-١٤٢٢

قائمة المصادر والمراجع

١. السيحاني. جعفر. (١٤٢٧ق). بحوث في الملل والنحل. ط١. قم. مؤسسة الإمام الصادق له.
٢. الشهرستاني. علي. (٢٠١٠م). التسميات بين التسامح العلوي والتوظيف الأموي. مشهد: مؤسسةالرافد للمطبوعات.
٣. الصالحي الشامي. محمد بن يوسف. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض. ط١. بيروت. دار الكتب العلمية١٤١٤ / ١٩٩٣م
٤. الطبرسي. أحمد بن علي. الاحتجاج على أهل اللجاج. تحقيق: محمد باقر الخرسان. ط١. مشهد. نشر المرتضى. ١٤٠٣ق.
٥. العلي. صالح أحمد. الكوفة وأهلها في صدر الإسلام. ط١. بيروت. شركة المطبوعات للتوزيع والنشر. ٢٠٠٣م
٦. الكنجي الشافعي. محمد بن يوسف. كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب طهران. داء إحياء التراث العربي. ١٤٠٤ق /١٣٦٢ش.
٧. محمد جواد مغنية. فقه الأمام جعفر الصادق. لبنان. ١٤٠١هـ/١٩٨٤
٨. المسعودي. علي بن الحسين بن علي. مروج الذهب ومعادن الجوهر. ط٢ تحقيق: يوسف أسعد داغر. قم. دار الهجرة. ١٤٠٩ق.
٩. المفيد. محمد بن محمد. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد. تحقيق وتصحيح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام ط١. قم. مؤتمر الشيخ المفيد. ١٤١٣
١٠. النسائي. أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب. سنن النسائي. الطبعة الأولى. دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت. ١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م.
١١. ورام بن أبي فراس المالكي الأشتري. تنبيه الخواطر ونزهة النواظر. الطبعة الثانية. دار الكتب الإسلامية المطبعة حيدري. طهران ١٣٦٨ ش.